

المقدمة :

لا يمكن أن ينكر أحد في جعل العقل (*) هو القوة المبدعة المجددة في ميدان الفكر بصفة عامة والفلسفي منه بصفة خاصة ، فللعقل دوره الهام في مجال إعداد وتركيب المناهج وتأسيسها ، فبقدر أهمية المناهج للعلوم تكون أهمية العقل للمناهج ، فبالعقل تنتظم الحياة في كافة مجالاتها ، فهو محورها وعمادها ، وبه نصل إلى صياغة القوانين حتى تنتظم العلاقات بين الناس ، ومحمد عبده أحد رواد الاتجاه العقلي في الفكر المصري الحديث.

أهمية البحث :

ترجع أهمية البحث إلى عدة عوامل :

أولاً : أن كل أمة تسعى للنهوض ، عليها أن تبحث عن تراث العقل الإنساني في كل العصور ، وعليها بصفة أساسية البحث عن تراثها العقلي . ولو نظرنا إلى مكانة العقل في تراثنا الفلسفي العربي الإسلامي ، لوجدنا له مكانة بارزة في بناء الحضارة الإسلامية ؛ فلقد كانت أمتنا هي الشعلة التي أضاعت للعالم دروب التقدم ، وقامت بالعديد من الأدوار الرائدة الأساسية في بناء الكثير من الأنماط الحضارية للإنسان ، وذلك يوم كان للعقل قيمته ؛ ويوم كان متيقظاً يصارع الأفكار ، ويقيم الحجج والبراهين، ويشعل مصابيح

(*) الناظر في فكر محمد عبده يجد أنه لم يضع تعريفاً للعقل ، وذلك لأن فكره اتسم بالاتجاه العملي ، والبعد عن المقولات الجوفاء ، لذا فالباحث إن يعرف تلك اللفظة كما يأتي في القواميس ، ولكن سيقصر على المفهوم الاجرائي للعقل ؛ ذلك المفهوم الذي وضع عبد محمد عبده ، والذي يتطور في الانتقال من مقدمات إلى نتائج تلزم عنها ، أو بمعنى آخر هو الانتقال من خطوة إلى خطوة تتبعها . وقد استخدم هذا التعريف أستاذنا الدكتور زكي نجيب محمود فيقول : "فأما التحديد الذي أريد أن أحدد به معنى العقل فهو الحركة التي تنتقل بها من شاهد إلى مشهود عليه ، ومن دليل إلى مدلول عليه ، ومن مقدمة إلى نتيجة تترتب عليها .. وأهم كلمة في هذا التحديد هي كلمة حركة فإذا لم يكن انتقال من خطوة إلى خطوة تتبعها فلا شيء" . أنظر :

د. زكي نجيب محمود : تجديد الفكر العربي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ٨ ، ١٩٨٧ م ، ص ٣١٠ .

د. زكي نجيب محمود : المعقول واللامعقول ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٨٧ م ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

المعرفة عن طريق المجادلة والمناظرة والنقد، ويبحث فى كل أمور هذا الكون العريض .

ولكن جاءت على العقل العربى الإسلامى حقبة من الزمن انخرط فيها فى طيات اللامعقول ، وفرض على العقل حصار أعاقه عن مواصلة جهوده فى الإبداع ، واكتشاف الجديد من مظاهر التطور المادى والفكرى ؛ لذلك جاءت أهمية هذه الدراسة . "النزعة العقلية فى فكر الإمام محمد عبده باعتبار فكر محمد عبده مصدرا من مصادر تراثنا العقلانى الحديث.

ثانيا : أن الدين والفكر الدينى عند الشعب المصرى منذ أقدم فترات تاريخه الطويل هو وجه من وجوه الشخصية المصرية ، ولذلك فنهضة هذا الشعب ، وغيره من الشعوب العربية الإسلامية ، لن تتم بمعزل عن الفكر الدينى. ولهذا كانت مكانة محمد عبده ، الذى أخذ على عاتقه إصلاح المجتمع العربى الإسلامى من كل جوانبه اعتمادا على إصلاح الفكر الدينى أساسا ، والقضاء على ما أقحم على العقيدة من شوائب البدع والخرافات التى خلفها أصحاب الطرق من المتصوفة وأرباب الفرق والنحل ممن سيطروا على الحياة الفكرية والدينية عموما طيلة العصر العثمانى والعصور السابقة ، لذلك رأى الإمام أنه لكى يظهر العقل الإسلامى مما ألحق به من ضلالات أنه لابد من العودة إلى فهم الدين وكسب معارفه من منابعه الأولى ، والربط بين الدين والعلم واعتبارهما دعائمين متلازمين لا مجال للتصادم بينهما .

ثالثا : لقد شهدت مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حركة فكرية ، كان لها الدور الكبير فى تشكيل صورة مصر الفكرية المعاصرة ؛ ولذلك فدراسة هذه الفترة من تاريخ مصر الفكرى عامل مهم لمعرفة ملامح الحياة الفكرية المعاصرة من ناحية ، ولمعرفة بذور النهضة التى يمكن أن تنبت الآن ، وتلك البذور الفاسدة التى أنتجت لنا تلك المشكلات التى نعانيها فى واقعنا الفكرى المعاصر من ناحية أخرى . ومحمد عبده يمثل القطرة التى تصل بين حقبتين فى فكرنا الحديث ، ما قبل القرن التاسع عشر

(م)

وما بعده ؛ فدراسة فكره تخدم تاريخنا القومى وحركتنا الإصلاحية ، وتبين خصائص الراقد المصرى فى الثقافة الإسلامية .

رابعاً : أن التحديات التى نواجهها فى حياتنا المعاصرة من عوامل خارجية وداخلية ، تتشابه مع تلك التى أحاطت بمحمد عبده فى عصره ، من مركزية للثقافة الغربية تسعى إلى جعل الثقافات الأخرى تابعة لها ، وتحديات داخلية تعتمد على الخرافة والتقليد وأخذ تراث عصور الانحطاط الفكرى (اللامعقول) فى تراثنا ودعمها بكل القوى . ودراسة عقلانية محمد عبده وكيفية مواجهتها مشكلات عصرها ؛ تُفيدنا فى مواجهة مشكلاتنا المعاصرة وفى وضع تصور للخروج من تلك الكبوة التى نعانيها . إذن فحياتنا الفكرية تحتاج لمثل هذا الفكر الذى يجعل من العقل وأدواته نقطة انطلاق له .

لكل هذه العوامل جاءت أهمية هذه الدراسة ، لذلك رأيت من الواجب أن أقوم بها ، وأرجو من الله العلى القدير أن تكون خطوة على الطريق ، حيث نعود مرة أخرى لبناء العقل العربى المسلم فى إطار فهم العقيدة الصحيحة ؛ والتى هى قاعدة المنهج المستقيم لبناء هذه الأمة.

أهداف البحث :

(أ) انطلاقاً من حاجة عصرنا للفكر العقلانى ، هدف الباحث إلى تقديم صورة لفكر الإمام محمد عبده ، وهى ليست بالصورة التفصيلية التى تغنى عن مطالعة هذا النتاج الفكرى للإمام ، بل لعلها خطوة دافعة لإعادة القراءة لفكره حتى يحدث تجاوز ذلك الفكر لنكمل طريق محمد عبده .

(ب) كما هدف الباحث إلى رصد مظاهر النزعة العقلية ، وكيفية استخدام العقل بين جوانب هذا الفكر ، مناقشاً ومجادلاً ومبرهنناً وداعياً للإصلاح على أساس من العقل .

(ج) سعى الباحث بعد تقديم صورة لفكر الإمام ، ورصد مظاهر النزعة فى فكره . إلى استخراج سمات النزعة العقلية ؛ دعوة لترسيخ هذه السمات العقلانية فى حياتنا المعاصرة .

(و)

وبذلك يكون الهدف من البحث الإجابة على هذه الأسئلة الثلاث :

- ١- ما هي ملامح فكر محمد عبده ؟
- ٢- ما هي مظاهر النزعة العقلية في هذا الفكر ؟
- ٣- ما هي سمات تلك النزعة ؟

منهج البحث :

تحقيقاً لأهداف البحث نهج الباحث منهاجاً يصل به إلى تلك الأهداف ، فعرض صورة مجملية لفكر محمد عبده ، وكان لابد من وضع فكر محمد عبده في سياق عصره فخصص الباحث فصلاً للحياة في مصر القرن التاسع عشر ، ولدراسة فكر محمد عبده في تطوره التاريخي خصص فصلاً آخر لحياة محمد عبده الفكرية ، فدرس أطوار حياته وعرض أفكاره معتمداً على نصوصه بصفة أساسية .

ولدراسة كيفية استخدام محمد عبده للعقل في فكره ، اتبع الباحث منهج تحليل النصوص وردها إلى سياقها حتى تظهر دلالاتها من خلال ذلك السياق ، مما جعله ينقد من انتزعوا مقولات محمد عبده من سياق نصوصها وظروف عصرها .

ولذلك فالباحث أعتمد على منهجية ذات جانبين ، جانب تاريخي لفكر وحياة وعصر الإمام ، وجانب تحليلي لنصوصه .

محتويات الدراسة :

لقد عرض الباحث هذه الدراسة في أربعة أبواب وخاتمة تتضمن أهم نتائج البحث ، الباب الأول يتناول حياة محمد عبده وعصره ، والباب الثاني يكشف عن دور النزعة العقلية في العقيدة الإسلامية عند الإمام ، ويتناول الباب الثالث دور النزعة العقلية في الفكر الديني عنده ، ويتناول الباب الرابع دور النزعة العقلية في الفكر الاجتماعي والتربوي والسياسي ، وتأتي نتائج البحث لتجيب عن الأسئلة التي تطرحها الدراسة ، وتتضمن هذه الأبواب ما يلي :